النمطية الحياتية لسكان بلاد الأندلس الإسلامية خلال الفترة (92 - 897 هـ / 711 - 1492م)

The lifestyle of the population of Islamic Andalusia during the period 92- 897 AH / 711 - 1492 AD

د. **ماجدة مولود رمضان الشرع**: أستاذ مشارك في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة طرابلس، ليبيا

MAJIDAH MAWLOUD RAMAADHAN ALSHARA: PhD Associate Professor, Department of History, Faculty of Arts, University of Tripoli. Libya.

email: mmgda2223@gmail.com

الملخص:

هدف هذا البحث لتسليط الضوء على جوانب مهمة متعلقة أساسياً بنمطية الحياة في بلاد الأندلس منذ الفتح العربي الإسلامي حتى سقوطها في أواخر القرن الخامس عشر. ولتحقيق أهداف البحث فقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي، وتم التوصل إلى مجموعة من النتائج أهمها: تميز المجتمع الأندلسي بتركيبة سكانية متنوعة شملت العرب والبربر وأهل الذمة من اليهود والنصارى والمولدين، وهناك تنوعفي الألبسة والأشربة والأكلات منها ماهو أصيل المجتمع الأندلسي ومنها ما هو وافد ودخيل عليه، ولوحظ انتشار لبعض الظواهر السلبية غير أخلاقية بين سكان الأندلس.

الكلمات المفتاحية: النمطية الحياتية، بلاد الأندلس، الفردوس المفقود، الدولة الإسلامية، التاريخ الإسلامي

Abstract:

The study aimed to shed light on important aspects related primarily to the lifestyle in Andalusia since the Arab-Islamic conquest until its fall in the late fifteenth century. To achieve the objectives of the research, the researcher used the descriptive approach, and a set of results were reached, the most important of which are: The Andalusian society was distinguished by a diverse demographic composition that included Arabs, Berbers, and Dhimmis, including Jews, Christians, and Mulatans. Accordingly, it was noted the spread of some negative and immoral phenomena among the inhabitants of Andalusia.

Keywords: lifestyle, Andalusia, Paradise lost, the Islamic state, Islamic history

توطئة:

شهدت بلاد الأندلس على مر تاريخها السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي العديد من التغيرات المهمة على حياة سكانها سواء الأصليين أو الوافدين، وتمثل ذلك التغيير في التركيبة السكانية للبلاد وفي العادات والتقاليد من حيث الأطعمة والأشربة والألبسة، أيضا شمل التغيير وجود بعض الظواهر السلبية التي كانت -مستشرية و دخيلة- في المجتمع الأندلسي آنذاك والتي منها شرب الخمر والفجور والبغاء وعشق الغلمان والسُحاق؛ وهذا راجع بطبيعة الحال إلي التأثر والتأثير من قبل الشعوب المسيحية المحيطة ببلاد الأندلس الإسلامية.

تكمن مشكلة البحث أثناء إعدادنا له في شُح بعض المعلومات التاريخية لبعض المحاور والنقاط الواردة في تقسيمات البحث، مثل الظواهر غير الأخلاقية كُحب الغلمان والسحاق وغيرها؛ حيث ذكرت بعض المصادر تلك الظواهر دون تقديم تفصيل معمق لتلك الآفات.

هناك بعض التساؤلات المهمة والتي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع وتحديد الإشكالية المتعلقة وهي على النحو الأتي:

- كيف كانت التركيبة السكانية للمجتمع الأندلسي ؟ وكيف ساهم التعدد فيه في وجود اختلافات غير معهودة من حيث المأكل والمشرب وبعض الظواهر السلبية غير أخلاقية علي حياة العرب المسلمين آنذاك؟.
- ماهو دور الفقهاء والعلماء في معالجة ما فسد من طباع وأخلاق الناس ؛ نتيجة ما استشرى من آفات غير سوية بين فئات المجتمع الأندلسي الإسلامي؟.

تم الاعتماد على المنهج الوصفي في كتابة هذه الدراسة، ويعرف المنهجي الوصفي بأنه من المناهج القديمة التي اعتمد عليها الباحثون في وصف الشعوب والمجتمعات على اختلافها في العادات والتقاليد الاجتماعية والمعتقدات الدينية ، ومن المقرر استخدام المنهج في الحديث عن عادات الأكل والشرب والألبسة بالمجتمع الأندلسي ، أيضا في بعض الظواهر الغير إخلاقية به.

تكمن أهمية الدراسة في التعرف بشكل أدق على طبيعة وخفايا المجتمع العربي الإسلامي الأندلسي آنذاك من حيث تركيبته المتنوعة والمتعددة والتي أسهمت في تكوين مجتمع منفتح على بعضه في عاداته وتقاليده.

وتعالج الدراسة موضوعها في ثلاثة مباحث هي/

1. المبحث الأول: التركيبة السكانية للمجتمع الأندلسي في الفترة (92 – 897 هـــ/ 712 - 1492م.)
2. المبحث الثاني: نمطية الحياة في المجتمع الأندلسي.
3. المبحث الثالث: المظاهر الغير الأخلاقية في أندلس الإسلامية.

المبحث الأول: التركيبة السكانية للمجتمع الأندلسي في الفترة (92 – 897 هـ/ 712 - 1492م):

تميز المجتمع الأندلسي بتنوع ديموغرافي في تركيبته، حيث اشتمل على العرب والبربر والمولدون واليهود والنصارى من أهل الذمة.

أولاً: العرب:

دخلوا إلى بلاد الأندلس عن طريق الحملات العسكرية الأولي والمتتابعة فيما بعد أثناء فتح البلاد ونشر الإسلام بها، وكان أول دخول للعنصر العربي جاء عن طريق حملة موسي بن نصير سنة 93هـ / 712م والتي اختلفت بعض المصادر التاريخية في ذكر عددها، فابن عذارى ذكر أن عددها عشرة آلاف[1]، بينما صاحب أخبار مجموعة يقول أن عددها ثمانية عشر ألفاً [2].

أما الحملة الأخرى التي شكل العرب إجمالي تكوينها فكانت سنة 97هـ / 716م وكانت بقيادة عبد الرحمن الثقفي[3].

عرفوا عرب هاتين الحملتين باليمنية حيث اندمجوا مع السكان بلاد الأندلس الأصليين وعرفوا فيما بعد بالبلديين؛ لأن لهم السبق في حكم بلاد الأندلس[4].

(1) ابن عذارى، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، ج2، تحقيق: ج - س - كولان وليفى بروفنسال، الدار العربية، ط 4، القاهرة، 1983م ص 13.

(2) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبيارى، دار الكتاب المصري – القاهرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت، 1981م، ص 1981م، ص 24.

(3) ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص25.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص 30- 31- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص42.

في سنة 123هـ/ 741م استقر قرابة عشرة آلاف من عرب بلاد الشام في بلاد الأندلس؛ نتيجة للثورات التى كانت ضدهم من قبل سكان المغرب الإسلامي آنذاك حيث حوصروا ومن ثم استطاعوا الهروب من بطشهم والاستقرار فى الأندلس [1].

اتخذ العرب من المناطق الجنوبية الخصبة مستقراً لهم وفي هذا يقول دوروتى:" أمر موسى طارقاً وقواته أن يتخذوا مقرهم في المناطق الجبلية والهضاب القاحلة في الوسط والشمال، واحتفظ موسى لنفسه بالجزء الجنوبي من أسبانيا وهو الإقليم الذي كان مفضلاً على المسلمين على الدوام"[2].

ثانياً: البربر:

جاء هؤلاء عن طريق الدخول الأول لطارق بن زياد في حملته التي استهدفت فتح الأندلس، حيث كان يتألف قوام جيشه من البربر قرابة العشرة آلاف، ثم أخذ عددهم يتزايد شيئاً فشيئاً لاعتبارات جغرافية وأخرى اقتصادية منها قرب بلاد الأندلس من العدوة المغربية فلا يفصل بينهما إلا جبل طارق، أيضا تمتع بلاد الأندلس بموارد وثروات اقتصادية هائلة جعلت البربر يفكرون مالياً في عملية الاستقرار بالبلاد الأندلسية وتحسين أوضاعهم المعيشية، امتازوا بسرعة اندماجهم في المجتمع الأندلسي؛ وهذا راجع بطبيعة الحال إلى التشابه والقرب المتين بينهم وبين السكان الأصليين للبلاد لكن موجة الهجرة من قبل البربر لم تكن على وتيرة واحدة في الازدياد والانخفاض؛ وهذا راجع بطبيعة الحال إلى حالة الفوضى التي شهدتها بلاد الأندلس سنة 123 هـ / 741محيث كانت هناك ثورة بين العرب والبربر في عهد عبد الملك ابن قطن القهري(114 - 116 ه/732 - 734م) فكان لهذا أثره على نزوح العرب والبربر لمناطق استقرارهم السابقة في الشمال والجنوب للجزيرة الأيبيرية وإخلائها مما أدي إلي استغلال بعض الممالك المسيحية في الشمال الفرصة ومضاعفة حجم نفوذها السياسي وفرار البربر إلي العدوة المغربية [3].

(1) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 30- 31 - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 42.

(2) دوروتى لودر، إسبانيا شعبها وأرضها، ترجمة: طارق فودة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965م، ص46.

(3) حسين مؤنس، فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأموية (711- 765م)، دار المناهل، بيروت، 2002م، ص 429- 430- سامية مسعد، التكوين العنصري للشعب الأندلسي وأثره على سقوط الأندلس 93- 422هـ، عين للدراسات الإنسانية والبحوث الاجتماعية، القاهرة، 2004م، ص 17.

ثم عاود البربر في هجرتهم لبلاد الأندلس في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر(327-392هـ / 938- 1002م) عندما تمت الاستعانة بهم في تشكيلة الجيش الأموي مرة أخرى[1].

ثالثاً: المولدون:

هم نتاج تزاوج المسلمين الداخلين إلي بلاد الأندلس من عرب وبربر من نساء إسبانيات اللواتي تميزن بمميزات جمالية أغرت العرب والبربر على حد سواء من حيث بياض بشرتهن واصفرار شعرهن، وزرقة عيونهن، هذه مميزات وصفات لم يألفها العرب الذين استهوتهم وانجذبوا إليها، إضافة إلي ذلك عدم وجود العنصر النسائي في قوام الجيوش العربية الإسلامية عندما جاءت لفتح بلاد الأندلس [2]، ويعتبر موسي بن نصير أول من سن سنة الزواج من إسبانيات وذلك عندما تزوج من أرملة الملك القوطى لدريق آيلة المعروفة فى المصادر العربية باسم أم عاصم [3]. ثم سار على نهجه الكثير حتى وصل عدد تلك الزيجات أثناء الفتح العربي قرابة الثلاثين ألف[4].

كانت عملية الزواج هذه تتم عن طريق التسري بالجواري الإسبانيات، حيث كثرن وزاد عددهن نتيجة السبي والتجارة بهن،ففي عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر رخصت أثمناهن وكثرت الغنائم والسبايا فيهن حتى قيل أن ابنة أحد ملوك الروم بمدينة قرطبة كانت على قدر كبير من الجمال بيعت بعشرين دينار عامرية [5].

رابعاً: أهل الذمة:

الذميون وكما هو متعارف عليهم هم من غير المسلمين في المجتمع المسلم، والذمة تفي العهد والأمان؛ قد سموا بذلك لأن لهم عهد الله ورسوله وجماعة المسلمين بالعيش في كنف وحماية المجتمع الإسلامي لهم مقابل واجبات يؤذونها كدفع الجزية والالتزام بأحكام الدين الإسلامي، والذميون في المجتمع الأندلسي يتمثلون في الأتي:

(1) عبادة عبد الرحمن رضا كحيلة، العقد الثمين في تاريخ الأندلس، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1996م، ص 343.

(2) احمد أمين، ظهر الإسلام، ج1 – 4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ص 8.

(3) ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 23.

(4) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة، 2009، ص 268.

(5) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: رينهارت دوزى، مطبعة بريل – ليدن، 1881م، ص26.

- **النصارى**: كانت تسميتهم في البداية أمرهم من قبل مسلمي الأندلس بعجم الأندلس، وعقب انتشار الإسلام في بلاد الأندلس بشكل يكاد كاملاً ومطلقاً تغيرت تسميتهم فسموا -بالنصارى المعاهدون - كما سموا بتسمية أخري في القرن الحادي عشر الميلادي وهى" المستعربون" وكان لهم دور كبير فيما يُعرف بحركة الاسترداد المسيحي ضد المسلمين في الأندلس، وهؤلاء النصارى المستعربون اتخذوا من مناطق ومدن الشمال مقراً لهم(1).

- **اليهود**: كانت علاقتهم مع المسلمين جيدة؛ نظراً للتسامح الذي أقره الدين الإسلامي مع الديانات الأخرى، حيث سُمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية وأنشطتهم الاقتصادية والسياسية، فظهر منهم الوزراء والسفراء(2).

المبحث الثاني: نمطية الحياة في المجتمع الأندلسي

إن المجتمع الأندلسي متكون من فئات مختلفة عرقياً ودينياً ساهمت بشكل كبير في استحداث عادات وتقاليد شملت الألبسة والأطعمة والأشربة، إضافة إلي بعض مظاهر الاحتفال بالأعياد الموسمية لكل فئة.

أولاً: الألبسة:

شهدت بلاد الأندلس منذ دخول العرب والمسلمين إليها تنوعاً كبيراً في تصاميم الألبسة سواء تلك الرجالية أو النسائية، وكانت على درجة عالية في الأناقة والفخامة، حيث ذكر أن الأمير عبد الرحمن الأوسط(176 - 238هـ/ 792 - 852م) في عهده تضاعف الإقبال على التأنق والتماس مظاهر الأبهة في الثياب ففتح أبواب الأندلس أمام ذخائر العراق(3).

تنوعت ملابس الرجال في الأندلس كلا على حسب فئته وطبقته في المجتمع الأندلسي، فكانت هناك أغطية الرأس والتي أخذت أشكالاً متنوعة في ارتدائها، منها العمامة والمعروفة أيضا بالعصابة

(1) حسين مؤنس، الرجع السابق، ص 521،521

(2) بيير غيشار، التاريخ الاجتماعي لإسبانيا من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين، ج2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998م، ص970.

(3) سحر السيد عبد العزيز سالم، "ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي "، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مج 27، مدريد، 1995م، ص160.

وتختلف من حيث مادة الصنع وحسب المكانة الاجتماعية لمرتديها، فوجدت عمائم الوشي المطرزة بالذهب وعمائم الشرب المصنوعة من الكتان الرقيق، وعمائم الفوط الملونة المنسوجة من الصوف[1].

بيَنَ ابن الخطيب أن أهل الأندلس في المناطق الشرقية قللوا من لباس العمامة وأحياناً امتنعوا عن لباسها؛ لأنهم تأثروا بالنصارى المسيحيين المجاورين لهم، أما أهل الغرب ألأندلسي فقد توافق على لبسها الفقهاء والقضاة والعلماء أصحاب المكانة المرموقة [2].

أيضاً لبس أهل الأندلس القلنسوة التي كانت تُصنع من الوشي أو الخُز أو الصوف والفراء، حيث شاع لباسها في عهد الدولة الأموية [3]، إضافة إلي القلنسوة وجد نوع آخر من العمائم وهوالغفارة والتي هي عبارة عن طاقية يلبسها الفقهاء وتُصنع من الصوف ولونها يكون مميز إما حمراء أو خضراء؛ في ذلك تميزاً لهم عن اليهود والتي يلبسونها باللون الأصفر [4].

فيما يتعلق بألبسة البدن فقد شهدت هي الأخرى تنوعاً ملحوظاً تمثل ذلك في السروال الذي هو عبارة عن ثوب فضفاض يغطي أسفل الجسم حتى القدمين [5].

أيضاً القميص وهو ثوب مخيص يُلبس تحت الثياب وعادة ما يُصنع من الكتان أو القطن أو الشاش والحرير [6]، إضافة إلى الملاءة وهى قطعة من القماش قطني الصنع ذات خطوط زرقاء وبيضاء ويستعمل استعمال المعطف [7].

الجُبة والتي هي عبارة عن ثوب طويل مفتوح من الصدر، لبسها الأندلسيون خواصاً وعاماً على حد سواء [8]، أيضا لبس الأندلسيون الذراعة التي كانت من الديباج وتُزين بخيوط من الذهب

(1) المرجع نفسه، ص 164.
(2) الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجى، القاهرة، 1974م، ص 136.
(3) ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 48- رينهارت دوزى، " المعجم المفصل للأسماء الملابس عند العرب، مجلة اللسان العربي، الرباط، (د- ت)، ص 183.
(4) المقرى، نفح الطيب في غصن أندلس الرطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب، ج1، تحقيق:مريم قاسم الطويل ويوسف علىالطويل، المعرفة الدولي، للنشر، الجزائر 2011م، 213
(5) سحر السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 174.
(6) رينهارت دوزى، المرجع السابق، ص183.
(7) ابن سيدة، المخصص، ج4، المطبعة الأميرية، 1317، ص 77.
(8) أبو طلحة يونس بن عبد الستار، لباس الرسول والصحابة الصحابيات رضي الله عنهم، مطابع الوحيد، مكة المكرمة، 2003م، ص 44- ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، المكتبة العصرية، بيروت2006م ص 81.

ويُرصع صدرها بالياقوت والجوهر، وكان هذا اللباس قد ادخله المغني المشهور " زرياب" إلي الأندلس[1].

فيما يتعلق بالأحذية فقد شهدت هي الأخرى تنوعاً كلاً على حسب موسم ارتدائها، حيث كان هناك الخُف الذي يصنع من الجلد ويحيط بالقدم ويغطي الكعبين، والقبقاب الذي يصنع من الخشب والجلد، إضافة إلي النعال الذي ما تصنع غالبا من جلود الإبل[2].

وكانت الكندرة تُلبس في فصل الشتاء،أيضاً الجوارب كانت تلبس وتكون حتى الركبتين[3].

أما ألبسة النساء فقد شهدت هي الأخرى تعدداً وتنوعاً في الكم والكيف، حيث شملت لباس الرأس والبدن كلاً على حسب الانتماء الطبقي للنساء الأندلسيات، تمثل لباس الرأس في الغفارة وهى العمامة والخمارة والطرحة وجلها مصنوعة من الكتان والحرير [4].

وألبسة البدن تتمثل في الغلالة والأثب وهى في مجملها لباس يشبه العباءة مفتوح من الأمام من غير كم ولا جيب [5].

كان لنساء الأندلس أدوات وطرق خاصة للتجميل سواء للبشرة أو الشعر، ومعظم أدوات التجميل كانت من خلاصة الطبيعة مثل الكحل والمسواك، ومن طرق التجميل لديهن الوشم الذي كانت المرأة تستخدم فيه الإبرة للرسم علي الجلد ويتم حشو الرسم بشئ يُعرف بدخان الشحم [6]. أيضا الحناء تم استخدامها لليدين والقدمين وللشعر؛ لتغطية الشيب [7].

(1)ابن عذرى، المصدر السابق، ج2، ص 319- رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية إلى العصر الحديث، دار الافاق، القاهرة، 2002م، ص171.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مج 2، دار المعارف، القاهرة،(د- ت)، ص 3508.

(3) دوزى، المرجع السابق، ص 179.

(4) رجب عبد الجواد إبراهيم، المرجع السابق، ص 300.

(5) دوزى، المرجع السابق، ص36 – يحي الجبورى، الملابس العربية في الشعر الجاهلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989م، ص 256.

(6) ابن سيدة، المصدر السابق، ج4، ص 57.

(7) ابن منظور، المصدر السابق، ج5، ص144.

ثانياً: الأطعمة والأشربة

كان للمجتمع الأندلسي خصوصية من حيث نوعية الأكل والشرب الذي كانت تتناوله كل فئة من فئاته، أيضا هناك تأثير وتأثر حول هذه الخصوصية سواء من الوافدين أو المقيمين، واختلفت تلك الأطعمة والأشربة في عملية إعدادها من حيث البساطة في مقاديرها والفخامة في تقديمها وتزينها والأدوات التي كانت تطبخ فيها؛ وهذا راجع إلي التطور الذي شهدته الأندلس في مختلف نواحي الحياة الاقتصادية (الزراعية، الصناعية،والتجارية) [1].

ثالثاً: أدوات المطبخ الأندلسي:

شهد المطبخ الأندلسي تنوعاً في أدواته المطبخية معظمها كان يُصنع من الطين والحجر والنحاس والحديد، والخشب والبلوط والزجاج والفخار وغيرها من المواد الخام الطبيعية، وتمثلت تلك الأدوات في الأتي:

1- الكانون (الموقد): يكون إما ثابتاً أو متحركاً، يوضع على النار وتوضع فيه مكونات الطعام[2].

2- التنور: يصنع عادة من الطين وهيئته على شكل جرة مقلوبة بدون قاعدة مفتوحة من أعلي يتم إحمائه بالنار من الأسفل، ويستخدم لعمل الخبز وشواء اللحم وموقعه يكون في فناء المنزل [3].

3- المهراس:يُصنع من مواد خام عديدة منها النحاس وحجر الرخام الأبيض أو العود الصلب المصنوع من خشب البلوط أو الزيتون، وتتم فيه عملية هرس ودق الأطعمة الصلبة – نوعاً ما[4].

(1) دايفد وينز، فنون الطبيخ في الأندلس، ج2،مركزدراسات الوحدة العربية، بيروت، 1989م، ص 1022.

(2) المرجع نفسه، ص1023.

(3) إحسان صدقي العمد، "الخبز في الحضارة العربية الإسلامية"،حوليات كلية الآداب، مجلس النشر العلمي، الكويت، 1992م، ص 94- دايفد وينز، المرجع السابق، ص 1023.

(4) مؤلف مجهول،" كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عهد الموحدين "، تحقيق: أمبرزتو أويني ميراندا، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية – معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، العدد 9، 1961- 1962م، ص62.

4- الطاجن: الذى يستخدم في خبز بعض أنواع الخُبز والثرائد[1].

5- الغربال: يستخدم في غربلة بعض مشتقات القمح والشعير من السميد والدرمك [2].

6- المقلاة: التي تُصنع غالباً من الحديد ويتم وضعها على نار هادئة ومعتدلة؛ لقلي الأطعمة التي تتطلب زيتاً أو سمناً لقليها[3].

كانت للأندلسيين أواني تقدم فيها الأطعمة عقب نضوجها منها على سبيل المثال الجفنة والقصعة الصحفة والغضار، أيضا أدوات تؤكل بواسطتها الأطعمة كالملاعق والسكاكين والمغارف، إضافة إلى أواني الزجاج كالأكواب، إضافة إلى أواني الذهب والفضة التي تم استخدامها بشكل كبير[4]

أيضا أُستخدمت أواني الكسفود والشواء الفرطون في تقديم الطعام وهى عبارة عن آنية على شكل كأس كبير ذو فم واسع وقعره ضيق [5]، خُصصت آلة لطهي الأمخاخ (المخ) مصنوعة من الزجاج والعظام، حيث يحشى فيها ويسد رأسه بالعجين ثم يُطبخ في قدر به ماء وملح [6].

أيضا أُستخدم إناء الطُنجير في طهي السمك وشكله إناء واسع الفم قليل العمق،والمعجنة التي يوضع فيها العجين ليختمر قبل خبزه ويُفرد بأداة إسطوانية الشكل مصنوعة من الخشب تُسمي الشوبق[7]

شهد المطبخ الأندلسي وجود أصناف وأشكال متنوعة من الأطعمة بعضها كان أصيل البلاد الأندلسية والبعض الآخر كان قد دخل إلي المطبخ الأندلسي؛ نتيجة للتأثير والتأثر من قبل الوافدين على حياة المجتمع الأندلسي، من هذه الأطعمة الجغوية وهى عبارة عن آكلة مكونة من الدجاج المتبل و البيض،والرشديةوالبرمكية والتي تحضر إما بلحم الدجاج أو فراخ الحمام، أو لحم الخروف والسمك والعصافير [8].

(1) دايفد وينز، المرجع السابق، 1024.
(2) المرجع نفسه والصفحة.
(3) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 204.
(4) دايفد وينز، المرجع السابق، 1024.
(5) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 27.
(6) المرجع نفسه والصفحة.
(7) ديفد وينز، المرجع السابق، ص 1028- 1029.
(8) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 41.

كانت اللحوم بمختلف أنواعها تشكل المقدار الأول في الأطباق الرئيسية على المائدة الأندلسية منها ما أُعد مقدداً بالملح وبشكل طولي[1].

وُجدت أكلات أخرى من اللحم المدقوق مثل البنادق والمركاس المقلي والخزيرة والتي يُقطع فيها اللحم بشكل صغير ويوضع في ماء فإذا نضج يضاف إليه قليل من الدقيق[2].

أما تحضير أطباق السمك والحوت فكانت تُحضر بطرق عدة وتختلف طريقة إعدادها من مدينة إلى أخرى، فمثلاً مدينتي قرطبة وإشبيلية كانوا يطهون الحوت مغموماً في القدر وفي الفرن عوضاً عن الطاجين ونوع السمك في هذا يسمي الشابك والشوى [3].

نظراً للأهمية الخبز في حياة الأندلسيين شدد المحتسب الرقابة على كل راحل صناعته من مراقبة المطاحن والباعة؛ لمحاربة الغش والتدليس، لذلك اشترط على كل خباز أن يصنع طابعاً يُنقش فيه اسمه ويطبع على خبزه لتمييز خبز كل واحد بطابعه ويقوم الحجة على صاحبه [4].

وتعتبر النظافة من الأولويات المهمة لعمل الخبز، فالواجب على عاملي الخبز غسل معاجنهم كل يوم وغسل مناديلهم، وكان المحتسب قد منعهم من العمل قبل الفجر لما يمكن في ذلك الوقت من قلة التحفظ لحدثان القيام من النوم، ويبعثهم على الاغتسال في أكثر الأوقات وغسل رؤوسهم لا سيما في فصل الصيف [5].

فيما يتعلق بالحلويات فقد نقل أموي الأندلس اهتمامهم بصناعة الحلويات من موطنهم بلاد الشام إلي الأندلس، فقد كانت هناك حلويات ذات أصول شامية وفارسية وعراقية، من تلك الحلويات الفالوذج والزلابية والخبيص الذى يُصنع من التمر والسمن والقاهرية، الكعك والسكرية والصفائر[6].

(1) المصدر نفسه، ص 48.

(2) ابن سيدة، المصدر السابق، ج4، ص 145- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 22- 117.

(3) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 187.

(4) إحسان صدقي العمد، المرجع السابق، ص 53.

(5) ابن عبدون، المصدر السابق، ص 30.

(6) المصدر نفسه، ص 48.

المبحث الثالث: المظاهر غير الأخلاقية في أندلس الإسلامية

شهدت بلاد الأندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي والثاني عشر الميلاديين جملة من التحولات وعلى مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، أهم تلك التحولات الاجتماعية حيث شهد عهد ملوك الطوائف (422- 488هـ / 1030- 1095م) سيطرة الإفرنج على بلاد الأندلس وارتكبوا جرائم في حق المسلمين بقتلهم وإستحلاء دمائهم وفرض الضرائب بمختلف أنواعها عليهم [1]، وبسبب هذه السياسة انتشرت المجاعة والأوبئة وتدهورت الحالة الاقتصادية تبعاً لذلك المعطيات قل الوازع الديني عند الأندلسيين وفسدت أخلاقهم فظهرت بعض الظواهر والآفات الدخيلة على المجتمع الأندلسي؛ نتيجة تأثرهم بعادات وتقاليد الفرنجة مثل انتشار مجالس الفسق والمجون واللهو، الثراء الفاحش والترف والعيش الرغيد في طبقة الوزراء والفقهاء،ومن تلك الآفات:

- ظاهرة شرب الخمر والخلاعة: والاستغراق في الملذات الجسدية والإكثار من الجواري من النساء [2]؛ و انتشار ذلك ليس بالغريب، راجع إلي حياة البذخ والترف التي كان يعيشها رجال الدولة من حكام ووزراء الذين عُرف عنهم بتشييدهم الفاحش للقصور والتفنن في تزيينها وتأتيتها بأفخر الأثاث، أيضا تسابقوا في اقتناء الآلات الموسيقية شراء المغنيات[3].

انتشرت تلك المجالس في احتفالات الأندلسيين بأعيادهم الإسلامية مثل عيد الفطر وعيد الأضحى وعاشوراء ونصف شعبان والسابع عشر من رمضان إضافة إلى الاحتفال بأعياد غير إسلامية ذات صفة موسمية مثل عيد العصير الذي يُحتفل به عادة في فصل الخريف وقت جني العنب [4]، أيضا أعياد النيروز العنصرة المسيحية والتي لاتخلو من مظاهر اللهو والخمر ولعب القمار أو ما يُعرف بلعبة الرهانات، إضافة إلي ذلك انتشار ظاهرة نبش القبور خاصة قبور الصالحين واللجوء إليها في الصعوبات والأزمات بقصد التبرك بها [5].

(1) رينهارت دوزي، المسلمون في الأندلس – أسبانيا الإسلامية، ج 3، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1995م،ص 25.

(2)عباس إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المرابطين، دار الشروق، عمان، 1997م، ص38.

(3) المقرى، المصدر السابق، ص 217.

(4) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص 138.

(5) إبراهيم القادرى بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع – الذهنيات – الأولياء)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993م، ص100.

- ظاهرة التلفظ بالألفاظ النابية الكلام الفاحش: التي شاعت بين الأندلسيين، حيث ذكر لنا المقري أن أهل مدينة إشبيلية كانوا يتبادلون فيما بينهم قبيح السباب ورذيل الكلام بات هذا الشئ لديهم مألوفاً[1].

- ظاهرة الاختلاط بين الرجال والنساء في الأماكن العامة والخاصة سواء في المساجد أو في الأسواق وفى الحانات الخاصة، على الرغم من أن الإسلام نهى عن ذلك في تعاليمه، ففي يوم الجمعة وعقب الصلاة يحدث الاختلاط عندما يذهبن النساء إلى السوق الذي به الرجال، وبين الطرطوشي هذه الظاهرة حيث ذكر أن بمدينة قرطبة بها باب يُعرف بباب العطارين يذهبن إليه النساء لقضاء حوائجهن، وكان الرجال يتحينون الفرصة للتحرش بتلك النسوة إما بالملامسة الجسدية أو اللفظية وفي هذا قال:" تلاصق أجساد بعضهم ببعض، حتى بلغني أن رجلاً ضم امرأة من خلفها، فعبث بها في مزدحم الناس"[2]، أيضا كان التحرش بالنساء يتم كما ذكر ابن عبدون في الطرقات وفي المقابر وأمام الحمامات في أماكن النزهة من قبل الرجال وعادة ما تحدث هذه المعاكسات في فصل الصيف؛ حيث تخلو الطرقات وتخمد حركة الناس[3].

- ظاهرة الفجور والبغاء[4] والتي استشرت في عدة مدن أندلسية منها مدينة شريش التي قيل فيها:" لا تكاد ترى بها إلا عاشقاً ومعشوقاً "[5]، أيضا اشتهرت مدينة برشانة بالبغاء والمجون، حيث قال فيها السلماني:" للمجون به بسوق، وللفسوق ألف سوق "[6]، خُصصت أماكن للممارسة البغاء حيث كانت هذه الأماكن تقام بالقرب من الفنادق وتُعرف بدور "الخراج"وعُرف النساء اللائي يرتادون هذه الأماكن بالخراجيات"[7]، تُفرض ضريبة على الخراجيات من قبل

(1) نفح الطيب، ج1، ص158.

(2) الحوداث والبدع، تحقيق: على بن حسن، دار ابن الجوزى، الرياض، 1990م، ص133.

(3) ابن عبدون، المصدر السابق، ص 50.

(4) البغاء هو أن تبغي المرأة باء بمعني فُجرت، فهي بغي الجمع بغايا والمراد من البغاء المرأة هو خروجها عمن يفعل بها ذلك الفعل سواء كانت مكرهة أم غير مكرهة.

عبد الرحمن المالقي، الأحكام، ج1، تحقيق: الصادق الحلوى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ص 391.

(5) المقرى، نفح الطيب، ج1، ص 184.

(6) معيار الأخيار في ذكر المعاهد والديار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د- ت)، ص 106.

(7) ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص50- السقطي، كتاب آداب الحسبة، تحقيق: ج.. كولان وليفي بروفنسال، مكتبة أرستيلورو باريس، (د-ت)، ص 48-49.

المحتسبينأمروهم بعدم الخروج كاشفات رؤوسهن متحليات بزينة وبضرورة الالتزام بأماكن عملهن في الفنادق"[1].

- ظاهرة حُب وعشق الغُلمان [وتُعرف في وقتنا الحالي بالمثلية الجنسية] من قبل مالكيهم تصل إلى حد الجنون والولوع بهم، أورد لنا الشعر الأندلسي جانباً من تلك الظاهرة، مثال على ذلك ابن عبد ربه الذي قيل أنه كان متيم بغلام وكتب فيه شعراً عندما علم بسفره، فقال:

هلا ابتكرت بين أنت مبتكر

هيهات يأبي عليك الله والقدر

مازلت أبكي حذار البيت ملتهباً

حتى رثي لي فيك الريح والمطر "[2].

- ظاهرة أخرى عند الأندلسيين وهي السحاقية، وهو أتيان النساء بعضهن ببعض[3].

الخاتمة:

العرب والمسلمون الوافدون منهم والمقيمين ظلوا في بداية الأمر ملتزمين ومحافظين علي تطبيق الشريعة الإسلامية في كل ما يتعلق بمعاملاتهم اليومية خاصة نمطية الحياة من حيث المأكل والمشرب والألبسة، لكن نتيجة لوجود فئة مسيحية بين المسلمين كانت مختلفة تماماً في مبادئها عن أخلاقهم التي تغلب عليها الحشمة والحياء انتشرت ظواهر غير أخلاقية بين سكان الأندلس تدعو إلي الفسق والفجور والخلاعة والتجرد من آدمية الإنسان من خلال ممارسة الزنا والسحاق وعشق الغُلمان ، لكن الفقهاء والعلماء والمحتسبين كان لهم الدور التنظيمي والرادع في تقنيين الظواهر السلبية.

(1) ابن عبدون، المصدر السابق، ص 27- 28.

(2) المقرى، نفح الطيب، ج3، ص 447.

(3)السحاق هو فعل النساء بعضهن ببعض، والفرق بينه وبين الزنا أن السحاق لا إيلاج فيه.

عبد المنعم عبد الرحمن محمود، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، ج2، دار النصر ودار الفضيلة، القاهرة، (د-ت)، ص 247.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر العربية

1- ابن حيان:(أبو مروان حيان بن خلف)، ت.964هـ/701م: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، المكتبة العصرية، بيروت، 2006 م.

2- ابن الخطيب: (لسان الدين السليماني)، ت677 هـ /4731م:الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975م.

3- ابن الخطيب ، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د- ت)

4- السقطي: (ابن عبد الله محمد المالقي)، عاش في أواخر ق القرن6 وأوائل القرن 7هـ: كتاب آداب الحسبة، تحقيق: ج. كولان وليفي بروفنسال، مكتبة أرستيلورو، باريس، (د – ت).

5- ابن سيدة:(أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي)، ت: 854هـ/6601م: المخصص، ج4، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1317.

6- الطرطوشي: (أبو بكر) ت 350 هـ/1229م: الحوادث والبدع، تحقيق: على بن حسن الحلبي، دار الغرب لإسلامي، بيروت، 1992م.

7- ابن عبدون: (أبو عبد الله محمد بن أحمد التجيبي الإشبيلي)، عاش في القرن 6هـ/12م: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

8- ابن عذارى:(أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي)، ت.695 ه/1295م: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج2، تحقيق: ج. س. كولان – ليفي بروفنسال، الدارالعربية، القاهرة، ط2، 1983م.

9- مؤلف مجهول: أخبارمجموعة في فتح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري – القاهرة، دار الكتاب اللبناني – بيروت، 1981م.

10- المراكشي: (محي الدين أبو محمد بن علي)، ت 674ه / 1250م: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: رينهارت دوزى، مطبعة بريل، ليدن، 1881م.

11- المقري:(أحمد بن محمد القرشي)، 1041- 1631م: نفح الطيب في غصن أندلس الرطيب وذكر ووزيرها ابن الخطيب، ج1، تحقيق: مريم قاسم الطويل – يوسف الطويل، المعرفة الدولي

12- المالقي: (أبو مطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي)، ت 497ه / 1003م: الأحكام، ج1، تحقيق: الصادق الحلوى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م.

ثانياً: المراجع العربية والمُعربة

13- أبو طلحة يونس عبد الستار، لباس الرسول والصحابة والصحابيات رضي الله عنهم، مطابع الوحيد، مكة المكرمة، 2003م.

14- إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع - الذهنيات - الأولياء)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993م.

15- أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج1- 4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

16- بيير غيشار، التاريخ الاجتماعي لإسبانيا من الفتح إلي نهاية حكم الموحدين، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993م

17- حسين مؤنس، فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلي قيام الدولة الأموية 711- 756م، دار المناهل، بيروت، 2002م.

18- دايفد ونيز، فنون الطبيخ في الأندلس، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1989م.

19- دوروتي لودر، إسبانيا شعبها و أرضها، ترجمة: طارق فودة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965م.

20- رينهارت دوزى، المسلمون في الأندلس - أسبانيا الإسلامية، ج3، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1995م.

21- سامية مسعد، التكوين العنصري للشعب الأندلسي وأثره على سقوط الأندلس 93- 422ه، عين للدراسات الإنسانية والبحوث الاجتماعية، القاهرة، 2004م.

22- عباس إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق،عمان، 1997م.

23- عُبادة عبد الرحمن رضا كحيلة، العقد الثمين في تاريخ الأندلس، دار الكتاب الحديث، الكويت،1996م.

24- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتردار العالم العربي، القاهرة، 2009م.

25- يحيي الجبوري، الملابس العربية في الشعر الجاهلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989م

ثالثا: الدوريات والمجلات العلمية

26- إحسان صدقي العمد، " الخبز في الحضارة العربية الإسلامية"، حوليات كلية الآداب، مجلس النشر العلمي، الكويت، 1996م.

27- رينهارت دوزى، "المعجم المفصل للأسماء الملابس عند العرب "، مجلة اللسان العربي، الرباط، (د- ت).

28- سحر السيد عبد العزيز سالم، " ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي "، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مج 27، مدريد، 1995م.

29- مؤلف مجهول،" كتاب الطبيخ ي المغرب والأندلس في عهد الموحدين "، تحقيق: أمبروزيوأويثي ميراندا، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، العدد9، 1961- 1962م.

رابعا: المعاجم والقواميس اللغوية

30- أبو الفضل جمال الدين محمد بن بكر بن منظور، لسان العرب، مج2، دار المعارف، القاهرة، (د – ت).

31- رجب عبد الجواد إبراهيم،المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية إلي العصر الحديث، دار الأفاق، القاهرة، 2002م.

32- عبد المنعم عبد الرحمن محمود، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، ج2، دار النصر ودار الطليعة، القاهرة، (د – ت).